

تفسير البحر المحيط

@ 522 @ عند هو العامل في له ، أي فأجره مستقر له عند ربه ، ولما أجال أجره على ا
أضاف الطرف إلى لفظه ربه ، أي الناظر في مصالحه ومربيه ومدبر أحواله ، ليكون ذلك أطمع
له ، فلذلك أتى بصفة الرب ، ولم يأت بالضمير العائد على ا في الجملة قبله ، ولا
بالظاهر بلفظ ا . فلم يأت فله أجره عنده ، لما ذكرناه ، ولقلق الإتيان بهذه الضمائر ،
ولم يأت فله أجره عند ا ، لما ذكرنا من المعنى الذي دل عليه لفظ الرب . { وَلاَ خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يُخْزَوْنَ } : جمع الضمير في قوله : { عَالَمِينَ هُمْ وَلاَ هُمْ
يُخْزَوْنَ } حملاً على معنى من ، وحمل أولاً على اللفظ في قوله : { مَنْ أَسْلَمَ
وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ } ، وهذا هو الأفصح ،
وهو أن يبدأ أولاً بالحمل على اللفظ ، ثم بالحمل على المعنى . وقد تقدم تفسير هذه
الجملة . وقراءة ابن محيصن : فلا خوف ، برفع الفاء من غير تنوين ، باختلاف عنه . وقراءة
الزهري وعيسى الثقفي ويعقوب وغيرهم : فلا خوف ، بالفتح من غير تنوين ، وتوجيه ذلك ،
فأغنى عن إعادته هنا . .

{ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ الذِّمَّارَى عَالَمِينَ شَدَّءٌ وَقَالَتِ النِّصَارَى
لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَالَمِينَ شَدَّءٌ } ، قيل : المراد عامة اليهود وعامة النصارى ، فهذا
من الإخبار عن الأمم السالفة ، وتكون أل للجنس ، ويكون في ذلك تقرير لمن بحضرة رسول ا
صلى ا عليه وسلم) من الفريقين ، وتسلياً له صلى ا عليه وسلم) ، إذ كذبوا بالرسول
وبالكتب قبله . وقيل : المراد يهود المدينة ونصارى نجران ، حيث تماروا عند الرسول
وتسابوا ، وأنكرت اليهود الإنجيل ونبوءة عيسى ، وأنكرت النصارى التوراة ونبوءة موسى .
فتكون حكاية حال ، وأل للعهد ، أو المراد بذلك رجلان : رجل من اليهود ، يقال له نافع بن
حرملة ، قال لنصارى نجران : لستم على شيء ، وقال رجل من نصارى نجران لليهود : لستم على
شيء ، فيكون قد نسب ذلك للجميع ، حيث وقع من بعضهم ، كما يقال : قتل بنو تميم فلاناً ،
وإنما قتله واحد منهم ، وذلك على سبيل المجاز والتوسع ، ونسبة الحكم الصادر من الواحد
إلى الجمع . وهو طريق معروف عند العرب في كلامها ، نثرها ونظمها . ولما جمعهم في
المقالة الأولى ، وهي : { وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا
أَوْ نَصَارًا } ، فصلهم في هذه الآية ، وبين قولكل فريق في الآخر . وعلى شيء : في موضع
خبر ليس ، ويحتمل أن يكون المعنى : على شيء يعتد به في الدين ، فيكون من باب حذف الصفة
، نظير قوله : .

لقد وقعت على لحم .

أي لحم منيع ، وأنه ليس من أهلك ، أي من أهلك الناجين ، لأنه معلوم أن كلاً منهم على شيء ، أو يكون ذلك نفيًا على سبيل المبالغة العظيمة ، إذ جعل ما هما عليه ، وإن كان شيا كلاً شيء . هذا والشئ يطلق عند بعضهم على المعدوم والمستحيل ، فإذا نفى إطلاق اسم الشئ على ما هم عليه ، كان ذلك مبالغة في عدم الاعتداد به ، وصار كقولهم أقل من لا شيء . .

{ وَهُمُ يَتَّبِعُونَ الْكِتَابَ } : جملة حالية ، أي وهم عالمون بما في كتبهم ، تالون له . وهذا نعي عليهم في مقالاتهم تلك ، إذ الكتاب ناطق بخلاف ما يقولونه ، شاهدة توراتهم ببشارة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، وصحة نبوتهما . وإنجيلهم شاهد بصحة نبوة موسى ومحمد صلى الله عليه وسلم) ، إذ كتب الله يصدق بعضها بعضاً . وفي هذا تنبيه لأمة محمد صلى الله عليه وسلم) في أن من كان عالماً بالقرآن ، يكون واقفاً عنده ، عاملاً بما فيه ، قائلاً بما تضمنه ، لا أن يخالف قوله ما هو شاهد على مخالفته منه ، فيكون في ذلك كاليهود والنصارى . والكتاب هنا قيل : هو التوراة والإنجيل . وقيل : التوراة ، لأن النصارى تمثّلها . .

{ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ } : الذين لا يعلمون : هم مشركو العرب في قول الجمهور . وقيل : مشركو قريش . وقال عطاء : هم أمم كانوا قبل اليهود والنصارى . وقال قوم : المراد اليهود ، وكأنه أعيد قولهم : أي قال اليهود مثل قول النصارى ، ونفى عنهم العلم حيث لم ينتفعوا به فجعلوا لا يعلمون . والظاهر القول